معجم المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة
في مواجهة الغزو اللغوي الوافد

الدكتور خليل عودة

جامعة النجاح الوطنية، كلية الآداب

قسم اللغة العربية

تواجه اللغة العربية في ظل الواقع الحضاري الذي نعيشه مشكلات عدة، فالإنجازات العلمية الوافدة إلينا، تسبق اللغة العربية إلى حياة الناس، ومراكز التعليم، ووسائل الإعلام، مما يجعل اللغة العربية تتخلف أمام اللغات الأجنبية، التي تفرض نفسها من خلال وقائع مادية تقدمها، وتجذب إليها ألسنة الناس واهتماماتهم، الأمر الذي يفسح المجال أمام اللغات الأجنبية كي تشكل بديلا عمليا للغتنا في حياتنا اليومية. فمع هذا الوضع الحضاري تقف اللغة العربية في حالة دفاع عن وجودها بين أبنائها، وهي تواجه غزوا حضاريا ولغويا من خلال مصطلحات وأفكار واردة.

وفي ظل هذه الظروف يزداد عبء المسؤولية الملقى على عاتق القائمين على أمر اللغة العربية، لأنهم يواجهون وضعين صعبين:

أولهما: المستوى الحضاري والعلمي في بلادهم مقارنة مع دول العالم المتقدم، وهذا أمر خارج عن إرادة اللغويين، لا يملكون معه ضرا ولا نفعا.

ثانيهما: سبل استيعاب اللغة العربية للمصطلحات الوافدة مع مدلولاتها العلمية، في إطار حقائق ثابتة ومتعارف عليها. وهنا يأتي دورهم، وهو دور صعب وشاق، ومعقد.

وورقة العمل هذه تناقش وضع تصور معين يسهل أمر استيعاب المصطلح الوافد، ولا تناقش قضية المستوى الحضاري أو العلمي، لأن هذا خارج عن إرادتنا، مع أنه يشكل أساس المشكلة، وجوهر القضية.

وأرى أن وضع معجم للمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة، يسهل أمر نشر المصطلح وتداوله، ولا أعني بذلك وضع معجم مترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وإنما أقصد معجما عربيا يحوي المصطلحات الجديدة مرتبة وفق موضوعات محددة، ويوضع أمام المصطلح العربي المتفق عليه مسبقا، معناه وأصله اللغوي، وعلاقته بالمصطلح الوافد، وبذلك يمكن تقديم مادة لغوية سليمة للقارئ العربي في مختلف مجالات المعرفة وميادين العلم، تعد مرجعا ملزما للجميع، يسهل عملية تداول المصطلح ونشره بأسلوب علمي دقيق.

وهذا يتطلب -بطبيعة الحال- جهدا مسبقا من مجامع اللغة العربية، تتوحد فيه الجهود، وتتكاثف من أجل السيطرة على هذه المصطلحات، ثم دفعها إلى لجنة من اللغويين العرب، تقوم على إعداد معجم المصطلحات بالسرعة الممكنة، وإلزام مؤسسات التعليم، والإعلام والصحافة، ودور النشر بما ورد فيه.

وفي اعتقادي أنه إذا أُنجز هذا العمل،فإننا نخرج بذلك من مجال وضع حلول نظرية،إلى تطبيق عملي لحل هذه المشكلة.وعندئذ تقدم مجامع اللغة العربية إنجازا كبيرا على طريق حل مشكلة المصطلحات العلمية والحضارية. ولتحقيق ذلك فإنه لا بد من:

1-أن يسبق إعداد هذا المعجم تشكيل لجنة عليا دائمة من الأقطارالعربية، تتكون من أساتذة الجامعات، توكل إليها مهمة متابعة المصطلحات الوافدة،وبحث سبل احتوائها،في إطار اللغة العربية وفق ما يرونه مناسبا، ثم وضع المصطلحات التي يتفق عليها،بعد العمل على نشرها بالسرعة الممكنة، في إطار فهرس منظم يشكل مادة لمعجم المصطلحات، الذي يرسخ في المستقبل المصطلح المدرج للتداول.

2-أن تتم مراجعة هذا المعجم وتطويره في فترات زمنية محددة،تلائم التغيرات الحضارية، وتواكب عملية دخول المصطلحات الجديدة إلى الاستعمال في اللغة العربية.

3-أن يلبي هذا المعجم حاجات الدارسين،ولا يترك فراغا يسمح لإثارة خلافات حول مصطلحات جديدة لم ترد فيه،لأن وجود مثل هذا النقص،يقلل من أهميته كمرجع يعتمد عليه في مثل هذه القضايا،ويفسح المجال أمام وضع مصطلحات جانبية،لا يمكن السيطرة عليها مستقبلا.

4-أن تعمل مجامع اللغة العربية،على وضع خطة محكمة من أجل نشر المعجم بشكل واسع في مؤسسات التعليم في مراحلها المختلفة،وبخاصة التعليم الجامعي،ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية،ودور النشر الخاصة والعامة.وهذا يتطلب إعطاء مجامع اللغة العربية، صلاحية واسعة للتدخل والرقابة،في مثل هذا الموضوع الحيوي،الذي يمس العمود الفقري للغة العربية.

5-أن تجاز الرسائل الجامعية قبل مناقشتها،من قبل مجمع اللغة العربية للتأكد من التزام الدارسين باعتماد المصطلحات العربية التي أقرت في معجم المصطلحات في مختلف ميادين المعرفة.

أما من حيث أهمية هذا المعجم،والفائدة المرجوة منه،فيمكن تلخيصها فيما يلي:

1-إن التغير اللغوي لا بد أن يجد مكانه أولا في المعجم،وبخاصة عندما يتعلق الأمر بعلاقة اللغة مع الواقع ، وهذا لا يعني إهمال المعاجم القديمة، وإنما وضع معاجم لغوية حديثة تعالج قضايا معاصرة، يمكن من خلال انتشارها الواسع التعريف بالمتغيرات اللغوية وعلاقتها بالإنجازات العلمية والحضارية السائدة.

2-وضع معجم للمصطلحات، يعني وجود إجماع لغوي على المصطلح المدرج وتوحيده، وبالتالي نقله من إطار إقليمي ضيق، إلى مستوى عام يخص المتكلمين باللغة العربية في كل مكان،بسبب وجود مرجعية علمية تلزم الجميع.

3-يستطيع هذا المعجم أن يقدم للقارئ العربي لغة العصر مضبوطة وفق أصول عربية صحيحة،ويساعده على التمييز بين ما هو ثابت في اللغة بحكم الأصول اللغوية،وما هو متغير تبعا للتغيرات الحضارية والفكرية السائدة.

4-إن وجود مثل هذا المعجم،يساعد على تنظيم

المصطلحات وترتيبها وفق موضوعات محددة تسهل-من الناحية العملية-طريقة تداول المصطلح الموحد بشكل منهجي منظم، وتيسر عملية البحث والوصول إلى المصطلح العلمي أو الحضاري في وقت قصير.

5-إن وجود هذا المعجم يساعد-في المستقبل- على تعريب التعليم الجامعي،إذ لا يمكن الحديث عن التعريب من دون وجود هذا المعجم، فهو الخطوة الأولى والمهمة نحو تعريب التعليم وانتشاره في الجامعات العربية. فعن طريقه يمكن توحيد المصطلح بين الدارسين في مختلف ميادين العلم والمعرفة، والوصول إلى منهج عربي علمي متكامل يؤكد الشخصية العربية،ويرفع من شأنها على المستويين اللغوي والحضاري.

وأخيرا فإن ورقة العمل هذه تقدم تصورا موجزا حول قضية من القضايا التي تساعد على نشر المصطلح الموحد وإشاعته،ولكنها لا تشكل مجمل القضايا والتصورات التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في هذا المجال.وبناء عليه فإن ما ورد في ورقة العمل يمكن أن يتضافر مع جهود أخرى تسهم في وضع آلية متكاملة تحقق الهدف المرجو.

فوضع هذا المعجم لا يعني حل مشكلة المصطلحات العلمية والحضارية،ولكنه يشكل خطوة على طريق الحل، ولا يعني كذلك أنها الخطوة الأولى،بل ربما تكون الأخيرة التي يجب أن تسبقها خطوات تؤصل المصطلح،وتعمل على توحيده ونشره.